

تفسير قوله: فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرْجٌ مِنْهُ

..... وقوله: { فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرْجٌ مِنْهُ } ؛ يعني هذا الكتاب أنزله الله إليك { لِنُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } فاللام في قوله: { لِنُنذِرَ } الآتي تتعلق بقوله: { أَنْزَلَ } يعني { أَنْزَلَ إِلَيْكَ } ؛ لأجل أن تنذر به، وأن تذكر به؛ فلا تعجز عن ذلك الإنذار ولا يضق صدره عنه: { فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرْجٌ مِنْهُ } . صدر الإنسان معروف. وإذا جاء على الإنسان أمر يثقل عليه أو يشق عليه أورثه ضيقاً في صدره. والنبي صلى الله عليه وسلم كان يشق عليه ويضيق بصدوره التكذيب من حيث إن الكفار يكذبونه، ويقولون: له أنت كذاب، أنت ساحر، أنت شاعر، أنت كاهن، هذه أساطير الأولين علمكها بشر. فتكذبتهم له وأذبتهم له يشق عليه؛ كما قال الله: { وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنتَ لَوْلَا أَنَّا نُنزِّلُ الْوَحْيَ لَنَكْفُرَنَّ بِكَ وَلَئِنَّا فَتْنَنَّا لَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } وقال: { قَدْ تَعَلَّمَ إِبْرَاهِيمُ آيَاتِنَا لِيَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُقُولُونَ } وفي القراءة الأخرى "ليحزنك الذي يقولون"؛ أي { فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرْجٌ } ؛ أي ضيق؛ يعني أوسع صدرك وتحمل الأذى وشق الطريق في تبليغ هذا القرآن العظيم والإنذار به والتذكير به، لا تضعف ولا تجبن ولا تخف من الأذى ولا يضق صدرك به. "والحرج" في كلام العرب أصله معروف. في كلام العرب أن الحرج في لغة العرب الضيق، وقد يسمون الشجر الملتف الذي لا تصل إليه راعية يسمونه حرجة؛ لضيق مكانه وقد كانوا يقولون في قصة غزوة بدر: فإذا أبو جهل كالحرجة. يعني لشدة ازدحام قريش عليه وصيانتهم له يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه. كالشجرة الملتف عليها الشجر، لا يمكن أن يوصل لها. هذا أصل الحرج في لغة العرب الضيق، وقد بيناه في قوله: { يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا } . وكون الحرج هو الضيق هذا هو المعروف في لغة العرب، ومنه قوله: { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } ؛ أي ما جعل عليكم من ضيق. وأحرجه أوقعه في الحرج؛ ولذا سميت الطلقات الثلاث المحرجات؛ لأنها تضيق على صاحبها وتمنعه من رجعة امرأته، واليمين قد تكون محرجة؛ لأنها تمنع من المحلوف عليه، وهذه المعاني معروفة في كلام العرب. ومنه قول عمر بن أبي ربيعة أو جميل بن معمر على الخلف المعروف في الشعر المشهور: قالت وعيش أبي وحرمة إخوتي لأنهن الحي إن لم تخرجي فخرجت خوف يمينها فتبسمت فعلمت أن يمينها لم تخرج أنها يمين ليست مضيقة وأنها كلا شيء. وكذلك قول العرج بن عمرو بن عثمان . عوجي علينا ربة الهودج إنك إلا تفعلي تخرجي يروبه كثير ممن روى "إنك إن لا تفعلي تخرجي"؛ أي تقعي في الحرج الذي هو الإثم والضيق بالذنوب. والأظهر أن أصله تخرجي؛ أي توقعي صاحبك في حرج وضيق بحيث هجرته. هذا أصل الحرج في لغة العرب. وعليه فالآية كقوله: { فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ } وكقوله: { فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ مُفسِكٌ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا } .